هل علماء الأشاعرة لا يعرفون الله؟!

د. سلطان العميري

في أول هذه الورقة أقدم اعتذاري للمشايخ الفضلاء، وطلبة العلم الكرام عن مناقشة مثل هذا السؤال الذي يبدو غريبا عن لغة العلم، ومسالك العلماء.

فمجرد طرح هذه الفكرة للمناقشة يعد خللا في البنية العلمية والمنهج العلمي، وقد مرت على منهج أهل السنة والجماعة قرون طويلة، لم يترك علماء أهل السنة قضية متعلقة بالمذهب الأشعري لم يناقشوها، ومع ذلك لم تكن هذه القضية محل بحث عندهم، ولم تكن من مواضع النقاش فيما بينهم.

ولكن ظهرت في هذا العصر ظاهرة انحرفت عن المنهج العلمي، وتنكبت الطريق الصحيح في مناقشة المسائل الشرعية، وأخذ أصحابها يثيرون قضايا مبنية على سوء الفهم، والغلط في التصور والإدراك، وقائمة على الانحراف في الاستدلال والنظر.

من ذلك: قولهم: يطلق القول بأن علماء الأشاعرة لا يعرفون الله تعالى، وبعضهم يحصرها في النووي!، فتراه يكرر: النووي لا يعرف الله! ويصرخ: النووي مات وهو جاهل بالله! ويجعل ذلك منطلقا له في التكفير المبطن، أو التشنيع المجمل الذي لا تبين حدود وضوابطه.

ومعتمد هؤلاء: أن علماء الأشاعرة ينفون صفة العلو وغيرها من الصفات، فهم ماتوا ولا يعرفون ربهم معرفة حقيقية؛ لأن من ينكر صفات الله كلها، كالجهمية، أو بعضها كالأشعرية لا يعرف الله، فالله تعالى إنما يعرف بصفاته، فمن أنكرها أو أنكر شيئا منها، فهو لا يعرف الله تعالى.

والظاهر من صنيع بعض هؤلاء أنه يجعل هذا الوصف **"لا يعرفون الله"** غطاء عنده على التكفير، فالظاهر من حاله أنه يحكم على أعيان علماء المذهب الأشعري والنووي بالخصوص بالكفر والخروج من الإسلام، ولكن حين كان لفظ التكفير شنيعا، ويثير عليه الناس، استبدله بلفظ "لا يعرفون الله"، فلو قال: الأشاعرة كفار، أو النووي كافر؛ لما قبل منه الناس هذا الوصف، ولشنعوا عليه غاية التشنيع، فاستبدل ذلك يقوله: الأشاعرة لا يعرفون الله، والنووي لا يعرف ربه.

ومما يدل على ذلك من كلامه أنه يصف الأشاعرة والنووي بالخصوص بأنه متجهم منكر لعلو الله، ومنكر لصفات الله، وأنه لا يؤمن بصفات الله تعالى، وذكر أن الإيمان أن تعرف الله، والنووي لا يعرف ربه، وذكر أن النووي يظن أن الله تعالى ليس نزيها، فينزه الله تعالى عما وصف به نفسه، وذكر أنه لم يجد عند اليهود ولا النصارى ولا الرافضة من يعذر من وقع في مثل ما وقع فيه الأشاعرة والنووي.

فاجتماع هذه الأمور كلها مع ما هو معروف عن كثير منهم من التصريح بتكفير أعيان المذهب الأشعري والنووي بالخصوص يدل دلالة ظاهرة على أن استعمال "لا يعرفون الله" إنما هو غطاء عن التكفير، وأن حقيقتها أنهم كفار بالله تعالى.

وهذه الدعوى الفاجرة الباطلة يمكن أن يبين بطلانها بأوجه كثيرة، بعضها راجع إلى الخلل المنهجي التي قامت عليه، وبعضها متعلق باللوازم الشنيعة التي تترتب عليها، وسأقتصر هنا على قدر من تلك الأوجه(١):

الوجه الأول: أن يقال: ماذا تقصدون بقولكم: الأشاعرة لا يعرفون الله، وبقولكم: النووي جهل الله ولا يعرفه؟

هل تقصدون أنهم كفار بالله تعالى، وأن ما عندهم من معرفة فهي غير نافعة؛ لأنها جامعت ناقضا من نواقضه، وأنهم خرجوا عن دائرة الإسلام- كما هو ظاهر حالكم-، فإن قصدتم ذلك فلماذا تتهربون من التصريح من التكفير؟! ولماذا تدلسون وتتخفون خلف العبارات المجملة؟! صرحوا بتكفيرهم وخروجهم من الإسلام، حتى يناقشكم العقلاء في دعواكم ويثبتون بطلانها وشناعتها.

وأما إن قالوا نحن نطلق ذلك الحكم "الأشاعرة لا يعرفون الله، أو أنهم يجهلون الله" ولا نقصد التكفير، وإنما نقصد وصف حالهم وما هم عليهم في العلم والإدراك.

---

(١) لا بد أن أنبه القارئ هنا على مسلك من المسالك القبيحة عند بعض أصحاب تلك الدعوى، فإنه يختارون وجها أو جهين يعلقون عليه بما يرونه نقدا، ثم يدعون بأنهم نقضوا فكرة المقال بجملتها، وهذا خلل كبير، فعلى التسليم بأنك نقضت وجها أو وجين، فبقاء الأوجه الأخرى كافية في إقامة الدعوى وبطلان ما يدعونه.

قيل: هذا لا يرفع الشناعة عنكم وعن طريقتكم في طرح الموضوع، ولذلك لأمور:

الأمر الأول: أن هذا مناقض لحالكم ولما تذكرونه من الأوصاف في حديثكم بذلك الحكم، فإنكم تجمعون معه أوصافا تدل دلالة ظاهرة على أنكم تقصدون أنهم كفار لا يعرفون الله وماتوا وهم يجهلون ربهم.

فإن كنتم صادقين في أنكم لا تقصدون تكفير علماء الأشاعرة ولا تكفير الإمام النووي فصرحوا بذلك، وبينوا لمن تأثر بكلامكم من صغار طلبة العلم بأنكم لا تقصدون ذلك.

الأمر الثاني: هل تقصدون أن الأشاعرة والنووي بالخصوص لا يعرفون الله ولا يعلمونه مطلقا أو لا يعرفونه المعرفة الواجبة أو لا يعرفونه المعرفة المستحبة؟

فإن قصدتم أنهم لا يعرفون الله بإطلاق وأنهم يجهلون الله من حيث الأصل، فهذا كذب، فواقع الحال أن علماء الأشاعرة والنووي بالخصوص يعرفون الله ويعلمون كثيرا من الأصول والتفاصيل المتعلقة بصفات الله تعالى ما له من الحقوق والواجبات وأخذوا بها والتزموا بها، بل معرفتهم بذلك أكثر بشكل كبير جدا من كثير ممن يصفهم بأنهم لا يعرفون الله، بمعنى العلم والادراك(١).

وإن قصدتهم المعرفة الواجبة، فنعم يصح أن يوصف علماء الأشاعرة وغيرهم بأنهم لا يعرفون الله المعرفة الواجبة؛ لأن كل من انحراف في صفات الله الواجبة فهو في الحقيقة لا يعرف الله كما يجب، ولكن هذا ليس خاصا بالمذهب الأشعري، بل يصدق على كثير من عوام المسلمين وجهلتهم، فهم لا يعرفون ما يجب لله تعالى من الصفات والأسماء.

فإنه بناء على طريقتكم يصح أن نطلق ذلك الوصف على كل من جهل قدرا من صفات الله تعالى حتى ولو كان من عوام المسلمين، فإنه يصح أن نعمل المقاطع تلو المقاطع ونصرخ ونصيح بأن كثيرا من علماء المسلمين لا يعرفون الله، بحجة أنهم لا يعرون قدرا من الصفات الخبرية.

وإن قصدتم المعرفة المستحبة، فإطلاق القول بأن من لا يعرف الله المعرفة المستحبة لا

---

(١) فإن قيل: هذه المعرفة لا تنفعهم عند الله، قيل: البحث الآن ليس في الكفر وعدمه، وإنما في وصف حالهم من حيث المعرفة والإدراك.

يعرف الله يعد ضلالا مبينا وانحرافا كبيرا؛ لأن مقتضاه أن أكثر المسلمين لا يعرفون الله**!!**

فعلى كل الاحتمالات فقولكم باطل، أو لا ينفعكم، ولا يتناسب مع طريقتكم في الطرح، فأنتم إما متناقضون أو واقعون في التلبيس أو الغلو في التكفير[١].

الوجه الثاني: أنه جاء في عدد من النصوص الشرعية إعذار من جهل بعض صفات الله تعالى، ولم تصفه بالكفر ولا بأنه لا يعرف الله.

ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول: حديث الذي أمر بإحراق نفسه، يقول ابن تيمية: "**فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذري، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين**، لكن كان جاهلا لا يعلم ذلك وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك. والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول أولى بالمغفرة من مثل هذا"[٢].

بل يرى ابن تيمية أنه كان شاكا في البعث أيضا حيث يقول: "فهذا الرجل اعتقد أن الله لا يقدر على جمعه إذا فعل ذلك أو شك وأنه لا يبعثه وكل من هذين الاعتقادين كفر يكفر من قامت عليه الحجة"[٣].

ومن المعلوم أن صفة القدرة والبعث من الأمور الظاهرة في دين الإسلام عند ابن تيمية وغيره من العلماء، ولا يليق أن يظن بابن تيمية أنه يراها من الأمور الخفية الظنية، بل نص على أن ما صدر من ذلك الرجل كفر بالإجماع كما في النقل الأول.

فإن قيل: الرجل لم ينكر أصل الاتصاف القدرة، وإنما أنكر تمامها وقدرا خفيا منها.

قيل: لو سلم بهذه كله، فإن هذا لا يفيد في دفع الشناعة عن تلك الدعوى؛ فإن البحث ليس

---

(١) الوجه الأول كاف في إبطال تلك الدعوى، وما سيذكر من الأوجه الأخرى يغلب عليها نقد الاعتماد على تلك الدعوى في تكفير الأشاعرة.

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٢٣١).

(٣) الاستقامة (١/١٦٤).

في المقارنة بين ما وقع فيه هذا الرجل وبين ما وقع فيه الأشاعرة، وإنما البحث في طريقة استدلالكم، فإنكم انطلقتم من أن من جهل شيئا من صفات الله فقد وقع في الجهل بالله، وهذا الرجل جهل شيئا من صفات الله، فيلزم على طريقتكم أن تصفوه بعدم المعرفة بالله والكفر بالله، وهذا مناقض لظاهر النص، ولما فهمه منه المحققون من العلماء.

ثم إن العبرة بما يقرره ابن تيمية هنا فهو يقرر بأنه أنكر مسألة ظاهرة وحكم عليها بأنها كفر بالإجماع.

ثم هل إنكار أن الله تعالى لا يقدر على بعث من أحرق بالنار وذُر في الهواء يعد مسألة خفية في دين الله؟!!!

المثال الثاني: ما وقع من عائشة رضي الله عنها في صفة العلم، فإنه جاء عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: "مهما يكتم الناس يعلمه الله، نعم...".

وقد ذهب عدد من العلماء المحققين(١)، ومنهم ابن تيمية إلى أن هذا الحديث يدل على أن عائشة لم تكن تعلم شمول علم الله تعالى لما يكتمه الإنسان في نفسه، ومع ذلك فلم يصف النبي صلى الله عليه وسلم عائشة بأنها جاهلة بالله أو أنها لا تعرف الله.

وقد علق ابن تيمية على هذا الحديث بقوله: "وهذا يدل على أنها لم تكن تعلم ذلك؛ ولم تكن قبل معرفتها بأن الله عالم بكل شيء يكتمه الناس كافرة، وإن كان الإقرار بذلك بعد قيام الحجة من أصول الإيمان، وإنكار علمه بكل شيء كإنكار قدرته على كل شيء"(٢).

فقد تضمن تعليق ابن تيمية هذا أمرين: **الأول**: أن علمه تعالى بكل شيء من أصول الدين، وأنه مثل قدرة الله على كل شيء، وهاتان الصفتان من أظهر الصفات التي دل عليها العقل والنقل، **والثاني**: أن عائشة كانت تجهل علم الله بكل شيء، ومع ذلك لم تكفر لجهلها.

فإن قيل: عائشة لم تنكر صفة العلم ولا اتصاف الله بها.

---

(١) تحديد المراد من هذا الحديث فيه اختلاف بين العلماء، ولكن ما طرح هنا إنما هو على رأي ابن تيمية وغيره من العلماء.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٤١٢).

قيل: البحث الآن ليس في المقارنة بين ما وقع من عائشة رضي الله عنه وبين ما وقع من الأشاعرة، فلا شك أنه لا مقاربة بين الأمرين، وإنما البحث في طريقة استدلالكم، فإنكم انطلقتم من أن من جهل شيئا من صفات الله فقد وقع في الجهل بالله، وعائشة رضي الله عنها جهلت شيئا من صفات الله، فيلزم على طريقتكم أن تصفونها بالجهل بالله، وإن كان جهلا أقل من جهل الأشاعرة بلا شك.

ولا بد من التنبيه مرة أخرى على أن البحث هنا ليس في المساواة بين ما وقع من عائشة رضي الله عنها وبين ما وقع في الأشاعرة، فلا شك أن ما وقع فيه الأشاعرة أشنع وأبعد عن الشريعة، ولكن البحث في مناقشة أصل الدعوى والاستدلال عليها، وما في قصة عائشة رضي الله عنها كاف في بطلان تلك الدعوى وما تقوم عليه.

الوجه الثالث: أن كثيرا من علماء أهل السنة نصوا على أن من جهل صفة من صفات الله تعالى أو عددا منها لا يكون جاهلا بالله الجهل الذي يجعله كافرا؛ مع أن جاهل الصفة في الحقيقة جاهل بشيء مما يليق به سبحانه.

يقول الإمام الشافعي: "لله أسماء وصفات لا يسع أحد ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه، فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة، فإنه يعذر بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية ولا الفكر"(١)، ويقول ابن قتيبة: "قد يغلط في بعض الصفات قوم من المسلمين، فلا يكفرون بذلك"(٢).

ويقول ابن تيمية: "ولهذا كان الصواب أن الجهل ببعض أسماء الله وصفاته، لا يكون صاحبه كافراً إذا كان مقرا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يبلغه ما يوجب العلم بما جهله على وجه يقتضي كفره إذا لم يعلمه"(٣).

ويقول ابن تيمية في مناظرته في الواسطية: "ليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد

---

(١) العرش، الذهبي (٢/٢٩٣).

(٢) فتح الباري (٦/٥٢٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/٥٣٨).

يجب أن يكون هالكا، فإن المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا، يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك فهذا أولى"[١].

ومن المعلوم أن ابن تيمية ذكر في الواسطية كثيرا من صفات الله تعالى، وكثير منها ثابت بالقطع والإجماع، كصفة العلو والاستواء والنزول والقدرة والإرادة والعلو والسمع والبصر وغيرها من الصفات.

ومن المعلوم أنه يعلم علما يقينيا أن من كان يناظره من علماء الأشاعرة يتأولون تلك الصفات، فلم يكفرهم ولم يحكم عليهم بأنهم لا يعرفون الله، ولم يستعمل في حقهم شعار "أنهم يجهلون الله"، كما يفعله كثير من الجهلة المعاصرين.

فتعارض عندك أيها النبيل مسلك أولئك العلماء المحققين- الشافعي وابن قتيبة وابن تيمية- ومسلك بعض المعاصرين الذي لا يعرفون بتحرير في العلم ولا تدقيق في مسائله وأصوله فما الذي يجب عليك اتباعه والأخذ به؟

إن الذي يجب عليك شرعا وعقلا وذوقا أن تتبع مسلك أولئك العلماء المحققين فهو أشرف لك علما، وأبرأ عند الله، وأقوى لك مستندا.

فإن قيل: علماء الأشاعرة والنووي ينكرون صفات ثابتة بالعقل والفطرة والقطع، وكلام الإمام الشافعي وابن قتيبة إنما هو في الصفات التي لا يثبت إلا بالنص والخبر.

قيل: هذا غير صحيح؛ فإن قول الإمام الشافعي وابن قتيبة مطلق يشمل كل الصفات التي جاءت في النصوص الشرعية.

ثم على التسليم بذلك، فمن الصفات التي لم تثبت إلا بالنص ولا يدل عليها العقل ابتداء صفة الاستواء وصفة النزول، فهل من أنكرها لا يوصف عندهم بأنه يجهل الله.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧٩/٣).

الوجه الرابع: أن هذا القول – أعني وصف علماء الأشاعرة بأنهم يجهلون الله تعالى ولا يعرفونه– يؤدي إلى غاية الغلو في التكفير.

وبيان ذلك أن يقال: إن من لا يعرف الله تعالى ويجهل صفاته التي لا يعرف إلا بها يكون كافرا لا محالة، ونتيجة ذلك، فإن كل علماء الأشاعرة ومن يقلدهم من العوام عبر القرون يحكم عليهم بالكفر والخروج من الإسلام.

وكذلك كثير من عوام المسلمين من غير مقلدة الأشاعرة يجهلون كثيرا من صفات الله وخاصة التي لم ثبت إلا بالنص، فيحكم عليهم بأنهم يجهلون الله ويشنع عليهم في مواقع التواصل ويجعل ذلك مسبة لهم، وربما يحكم عليهم بالكفر والخروج من الإسلام؛ بحجة أنهم لا يعرفون الله.

فهذا المذهب والحجة الذي يعتمد عليها أصحابه ينتهي إلى تكفير قدر كبير من الأمة لم يصل إليه كثير من جماعات التكفير والغلو.

فإن قيل: هناك فرق بين علماء الأشاعرة وبين العوام الذين يجهلون صفات الله تعالى؛ لأن علماء الأشاعرة بلغتهم النصوص الشرعية وعوام المسلمين لا يعرفون تلك النصوص.

قيل: هذا لا ينفع في دفع تلك الشناعة عن قولكم؛ لأن العلة الموجبة للكفر موجودة في الجميع، فالعلة التي أقمتم عليها قولكم الباطل تتحصل في "عدم معرفة الله، أو الجهل بالله"، وهذا الوصف يوجد في كل من جهل صفة من صفات الله أو عدد منها، سواء كان سبب جهله عدم العلم أصالة أو التأويل للنصوص الشرعية.

الوجه الخامس: أن هذا القول يؤدي إلى غاية القدح في علماء أهل السنة، فإن علماء أهل السنة إما كلهم أو جماهيرهم على الأقل ما زالوا يثنون على قدر كبير من علماء الأشاعرة[١]، بل أجمعوا على الثناء على النووي وغيره من العلماء، ومقتضى تلك الدعوى أنهم أثنوا على من لا يعرف الله، وعلى من مات وهو يجهل الله، وعلى من مات وهو كافر بالله في الحقيقة.

---

(١) البحث هنا ليس في الوصف بالإمامة، وإنما في مطلق الثناء والمدح، فهو أوسع من الوصف بالإمامة وأكثر انتشارا، بل لا يمكن التشكيك فيه البتة.

فأي قدح أعظم من هذا في أولئك العلماء؟!! فمقتضى هذا القول أن أولئك العلماء إما أنهم جهلة لا يعرفون دين الله، أو أنهم مدلسون خونة يثنون على من لا يعرف الله ويجهله، أو أنهم لا غيرة عندهم على صفات الله وحرماته.

ولا مفر من هذه المقتضيات أبدا؛ لأن البحث ليس في عالم ولا عالمين من الأشاعرة؛ حتى يقال: يمكن أنهم جهلوا حالهم أو نحوه من الأعذار، وإنما البحث في مئات العلماء.

فهذا اللازم يجب أن يطارد به أصحاب تلك الدعوى الفاجرة الظالمة المنحرفة، فإنه من أقوى ما يبين ضلالهم وانحرافهم.

الوجه السادس: أن القول بأن علماء الأشاعرة لا يعرفون الله تعالى يلزم منه تسويغ أحكام في غاية الشناعة والضلال، من ذلك ما صرح به بعضهم، فقال: "أنا كافر بالإله الذي يعبده الجويني والرازي والنووي وابن عبدالسلام والغزالي والسيوطي وابن عساكر"، فهذا القول الشنيع الخارج عن مسالك العلماء نتيجة ضرورية لذلك الشعار الباطل.

فلكل عاقل يدرك أن من أخطر نتائجه أنه يسوغ في لغة العلم وأصول الشريعة أن يقال: إن أهل الحديث وعلماء الأشاعرة لا يعبدون ربا واحدا.

فهذا الحكم الذي يلزم لزوما ضرروريا عن قولهم يكشف عن شناعة الغلو الذي تتضمنه تلك الدعوى الفاجرة، وعن خطر النتائج القبيحة التي يمكن أن تصل إليها.

ويصبح كل من يخالف مسلما في أي مسألة يراها قطعية يقول: إنني لا أعبد ربا يقول أو يفعل أو يشرع القول الذي يراه باطلا، حتى وصل الحال ببعض المتعصبة أن يقول هذا في بعض المسائل الفقهية، ولا شك أن هذا غلو قبيح، وأقبح منه أن فيه قلة أدب مع الله، وسوء عبارة لا يجوز أن يتهاون المسلم في قولها أو سماعها، فالمعبود واحد بأسمائه وصفاته وإن غلطوا في بعض ما يجب من معرفته، فهذا لا يجعل الخلاف خلافاً في حقيقيتين متناقضتين!

الوجه السابع: **وهو وجه تكميلي يناسب المتقدمين في العلم**: أن هذا القول يؤدي إلى الفوضى في المسائل الشرعية وفي التكفير والتضليل، فإنه بناء على تلك الدعوى يسوغ للأشاعرة

بأن يقولوا: إن أهل الحديث والسنة لا يعرفون الله، لأنهم يعتقدون أن الله جسم وأنه تحل به الحوادث، وأن ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من العلماء مجسمة مشبهة، وغيرها من التهم الباطلة التي يطلقونها.

فلا شك أن إطلاقهم لتلك التهم أمر باطل لا ريب فيه، ومما يبطل به قولهم ويشنع به عليهم أنهم بنوا اتهامهم ذلك على أصول باطلة في النظر والاستدلال، ومنها: توهمهم ما ليس بلازم لازما، ومنها: جعلهم لازم القول قولا للمعين.

وكانت الشناعة تلزم الجهلة منهم، مما اضطر العارفين منهم إلى البراءة من هذه التهمة، والحكم عليها بالبطلان والزيف.

ولكن أصحاب تلك الدعوى الفاجرة فتحوا الباب لتسويغ ما يدعونه، فإن مسلكهم متفق مع مسلك أولئك الأشاعرة، وهذا يؤدي إلى الفوضى وفقدان قواعد الإلزام والنقض، واضطراب أصول النقد والإبطال.

فهم في الحقيقة يساهمون في إضعاف المذهب السلفي، ويساهمون في نقض قدر من أصوله المتماسكة في إبطال المذاهب المنحرفة، وإبطال اعتراضاتهم وشبهاتهم.

فقد شيد أئمة السلف، ومن جاء بعدهم من العلماء كابن تيمية وابن القيم أصولا علمية محكمة تثبت بطلان منطلقات المذاهب المنحرفة، وتدفع شبهاتهم واعتراضهم بإحكام وإتقان، ابتعدوا فيها عن الشعارات العاطفية، والتراكيب المجملة، والاتهامات المعلبة، التي يمكن للجميع أن يعتمد عليها، فجاء أصحاب هذه الدعوى الفاجرة وأعرضوا عن هذا كله، وأضحوا يعتمدون على الشعارات العاطفية، والجمل المجملة، فساهموا في إضعاف المذهب السلفي عند كثير من الناس.

فإن قيل: أتباع المذهب الأشعري يتهمون علماء المذهب السلفي بالتجسيم والتشبيه ليل نهار، فلا فائدة من كلامك.

قيل: البحث ليس في صدور الاتهام منهم ولا في كثرته، وإنما البحث في تسويغه وتقديم ما يجعله سائغا منهم، وأنتم قد قدمتم له هذا الأمر بجلاء.

فإن قيل: لسنا نحن الذين وصفنا من أنكر صفات الله تعالى بأنه يجهل الله أو أنه لا يعرف الله، وإنما أئمة السلف هم الذين فعلوا ذلك، يقول الدارمي: "من لم يعرف أن إلهه فوق عرشه، فوق سماواته، فإنما يعبد غير الله"(١).

قيل: نحن لا ننكر أن عددا من أئمة السلف أطلقوا على من أنكر بعض صفات الله بأنه يجهل الله، أو أنه لا يعرف الله، فهذا ليس محل البحث، وإنما محل البحث يتحصل في أمور:

الأول: على أي وجه أطلقوا ذلك الوصف؟ هل أطلقوه على جهة الإلزام وبيان بطلان القول ببيان لوازمه الباطلة، أم أطلقوه على أنه اعتقاد وقول لمن يردون عليه؟ فالظاهر من كلام الدارمي وغيره أنه إنما أطلقه في مقام نقد القول ببيان لوازمه الباطلة، وهذا مسلك صحيح في النقد والإبطال.

وهذا يختلف عن مسلك من يصف علماء معينين عرف عذرهم وحالهم بأنهم لا يعرفون الله، فالحكم على القول يسع فيه التشديد والإلزام ما لا يسعه عند الحكم على الأعيان.

فليس في كلام الدارمي مستندا لكم في دعواهم الفاجرة الظالمة.

الثاني: هل أطلقوا ذلك الوصف على كل من خالفهم في صفات الله تعالى أو على بعضهم ممن رأوا أنه قد قامت عليه الحجة وزالت عنه الشبهة؟

فلا يصح لكم أن تعتمدوا على مجرد تلك الجمل حتى تعرفوا سياقاتها ومستنداتها.

الأمر الثالث: أن ظاهر كلام الدارمي أن منكر العلو لا يعبد الله، وإنما يعبد غيره، فهو صريح بين بناء على فهمكم له، فلماذا لا تصرحون وتقولون: الأشاعرة لا يعبدون الله، وإنما يعبدون غيره؟ والنووي لا يعبد الله، وإنما يعبدون غيره؟

لماذا تتهربون من الأحكام الصريحة؟ ولماذا لا تأخذون بما ادعيتم أنه مذهب للدارمي بتمامه؟ لماذا تتركون كلام الدارمي وتعبرون بعبارات مجملة تحتمل عددا من المعاني؟

---

(١) الرد على الدارمي (٤٨٩/١).